

مفاهيم التاريخ في المرحلة القومية المعاصرة

د. زاهية قدورة

أربعة : الحدث نفسه ، والأرضية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية للحدث ، ثم الانتاج النظري حول الحدث ، والظروف التي تم فيها الانتاج النظري في هذا الحدث . ومن الحق أن يقال أن بعض هذه الشروط تتحقق على الوجه الاكمل في كتابات العديد من المستشرقين ، ورجال المادية التاريخية ، والتقليديين ، لكن تم في أكثر الاحيان تجاهل متعمد أو غير متعمد لعدة أمور اضافية تتصل بالمرحلة الراهنة هي : شخصية الكاتب المعاصر وأبعادها الايديولوجية ، وجوانب الموقف الراهن الذي يتم فيه الانتاج عن الماضي ، ثم الوثائق المتوفرة عن الحدث الماضي لدى الكاتب .

والواقع أن هذه الشروط المضافة هي التي تشكل المنزقات الرئيسية بالنسبة للمعاصرين في الكتابة التاريخية عربا كانوا أم غير عرب . وعلى سبيل المثال فإنه لا اعتراض لنا على دراسة ثورة الزنج من جانب مؤرخين كثيرين (٢) رغم ما في هذا الاهتمام من اصطناع احيانا ، لكن لهذا الاصطناع أسبابه التي توضح ما نعينه بمنزلة استخدام التاريخ لاهداف سياسية واجتماعية حاضرة . فالليبراليون والمحافظون من المؤرخين توصلوا الى نتيجة مفادها ان ثورة الزنج كانت تأمرا صريحا على الدولة الاسلامية لصالح اهداف سرية معادية للاسلام والمسلمين ، هذا في حين أكد الليبراليون على ان الوسيلة القمعية التي استخدمت ضد الثورة لم تكن هي الحل الامثل . بينما ذهب اليساريون على اختلاف مشاربهم الى محاولة تفسيرها في نطاق « نمط الانتاج الآسيوي » (٣) باعتبارها ارهاصا بنهاية مرحلة المجتمع العبودي أو حتى بدايته ، مشددين على الطابع القمعي والجائر للدولة الاسلامية ونظام الخلافة .

وعندما نعلم ان هؤلاء جميعا استندوا (أو هكذا يفترض) الى تقرير رئيسي عن القضية ورد عند المؤرخ المعروف محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) (٤) ندرك ان اختلاف التفسيرات للثورة المذكورة لا يعود الى اختلاف الوثائق المستخدمة بل الى اختلاف المنهج المستخدم

لا تكون مبالغين اذا ذهبنا الى القول ان كل ما يكتب اليوم في بلادنا يدخل بشكل أو بآخر في نطاق الكتابة التاريخية . ذلك ان المنطلق الرئيسي في الفكر العربي المعاصر هو منذ سنوات عدة : الصلة بين حاضرنا وماضينا ، ومحاولة رسم صورة لما ينبغي أن يكون عليه مستقبلنا القريب . وطبيعي أن يلعب الموقف الحاضر دورا رئيسيا في النظرة الى الماضي ، ذلك ان الضرورات اليومية والوطنية تواجه الفرد العربي باشكاليات ومصاعب تدفع به بشكل أو بآخر الى الاتكاء على الماضي الافضل التماسا للعزاء عن احباطات الحاضر ، أو التماسا لاسباب الفشل في الماضي ، وأخيرا توجهها للفهم الموضوعي للظروف كلها بما فيها من ايجابيات يمكن أن تكون مفيدة في مجال استمرارية الامة العربية وعمق حجمها التاريخي وامكانياتها المستقبلية .

وأود منذ البداية أن أقول ان الموقف الثالث هو الأكثر اثمارا في واقعنا الراهن ، وهو في الوقت نفسه الاقل ظمنا للحقيقة التاريخية . ولا شك ان كلا من الموقفين الاول والثاني يتجاهل أمرا أساسيا هو القيمة الذاتية للتراث العربي بغض النظر عن تدخله في الموقف الحاضر أو عدمه . ثم ان التراث العربي (١) الذي يجري استخدامه لصالح هذه النزعة أو تلك يجري قبل ذلك تطويبه وتقويله هذا الامر أو ذلك ، وهكذا فان اللجوء الى التراث العربي سلبا أو ايجابا هو لجوء الى صورة تاريخية متكونة في اذهان هؤلاء المستفيدين ، تتجاهل الحقيقة التاريخية وتتشبث بصورة تاريخية تعتبرها مفيدة لا متجاوزة القيمة الذاتية للتراث في الوقت الذي لا تتجاوز فيه أيضا حقائق التراث التاريخية .

ان التسجيل النظري القديم الذي قام به مؤرخونا للاحداث السابقة لهم أو المعاصرة قاموا به في ظل ظروف معينة سياسية أو اقتصادية واجتماعية . وما ينطبق على الكتابة التاريخية ، ينطبق أيضا على سائر مناحي النشاط النظري العربي في مختلف الفنون والتخصصات ، وهكذا فاننا عندما ننظر الى الانتاج النظري حول حدث من الاحداث التاريخية علينا أن نضع في اعتبارنا أمورا

لمنبحين ما يزالان يسودان الكتابة التاريخية عندنا ، بل ان احدهما ساهم في نشأة تصورات معينة لدينا نحن ولدى الدارسين عن التاريخ العربي كله . المنهج الاول هو ما يمكن تسميته بمنهج المستشرقين ، والمنهج الثاني هو منهج الماديين التاريخيين الذي كثر الانتاج في نطاقه في السنوات الاخيرة .

وقد نكون غير دقيقين اذا اعتبرنا « المستشرقين » فئة واحدة ذات مصالح واحدة واتباع منهج واحد (١٣) . لكن ما لا شك فيه ان الدوافع الاولى للاستشراق القديم في أوروبا واحدة . فكما ذكر المؤرخ والمستشرق الالماني « فك » ، كانت البدايات الاولى للاستشراق مع ازدياد الاهتمام الاوروبي بالشرق (١٤) . وبالتالي زيادة المصالح الغربية فيه . وهكذا كانت مهمة المستشرقين الاوائل جمع أكبر قدر من المعلومات عن مواطن المصلحة في الشرق سعيا وراء تنمية عذد المصالح ورعايتها . وفي هذا السياق جاء اسهام المستشرقين البريطانيين في استعمار الهند . والهولنديين في استعمار اندونيسيا (١٥) . . لكن مصالح الدول الاوروبية في الشرق لم تكن متوازية او متماثلة . كما ان الصراعات فيما بينها كانت تحدث تفاوتاً في الادوار ، لذلك فقد كان موقف المستشرقين الالمان أقل مباشرة في علاقاتهم بالدولة العثمانية ، اذ ان الدولة الالمانية الجديدة التي أنشئت عام ١٨٧٠ م كانت تريد عبر السلطنة أن تضرب المصالح الانكليزية والفرنسية في الشرق . بالاضافة الى ذلك دخلت اعتبارات دينية في الموضوع لم ترتبط دائماً بمشروعات سياسية محددة . فقد اهتم دارسو العهد القديم من الالمان والاميركان بالتعرف على الديار المقدسة والادب العربي سعياً نحو فهم أدق للانجيل بقسميه . هذا في الوقت الذي كان فيه دوتي الرحالة الانكليزي (١٧) وهاليفي الفرنسي (١٨) ، يمهدان لدخول بريطاني وفرنسي الى اطراف الجزيرة العربية من وراء ظهر الدولة العثمانية .

وسار الامران بشكل متواز . بل كانا يختلطان في كثير من الاحيان كما في شخصية ماسينيون الفرنسي (١٩) وهورغرونيه الهولندي (٢٠) وبيستون الانكليزي (٢١) وبيكر الالماني (٢٢) . وانفرد الالمان من بين المستشرقين تقريبا بالاقبال على نشر كتب التراث العربية الضخمة ، فقد نشر دي غوبه (٢٣) وفستنفلد (٢٤) ونولدكه (٢٥) وفلهاوزن (٢٦) نصوصا ودراسات كثيرة اضاءت نواح في تاريخنا وفكرنا كانت ما تزال في زوايا الغموض والنسيان . لكن بيكر الالماني الذي كان بين اول المهتمين بالنظام الاداري للدولة العربية الاسلامية والخلفيات الاقتصادية والاجتماعية للنظام السياسي كان بين المخططين للمصالح الالمانية في الشرق ، ثم صار وزيراً للثقافة والانباء بعد الحرب الاولى (٢٧) . وقد

والمصلحة السياسية للكاتب عن ذلك . وما يقال عن « ثورة الزنج » يقال ايضا عن تمرد « بابك الخرمي » الذي رأى فيه احدهم (٥) انتفاضة وطنية للشعب الاذربيجاني ضد الاستعمار العربي الاسلامي . بينما رأى فيه آخر ناصراً من جانب فئة صغيرة شريرة على العرب والمسلمين (٦) . وهناك تفسيرات معاصرة للتاريخ العربي الاسلامي تشمل كل ما هو تاريخي وهام في ماضينا مثل قيام نظام الخلافة (٧) ومقتل عثمان والصراع بين علي ومعاوية وعلي وعائشة (٨) ، وقيام الدولة العباسية (٩) ، وظهور الدويلات ، والصراع القوي بين المعتزلة والاشاعرة ، والشيعية والسنة ، والنضال ضد الغزو الصليبي والمغولي ، ثم قيام الدولة العثمانية ، والعلاقة بين العرب والترك ، والعلاقة بين العرب والغرب . واشكاليات العلاقات الحديثة والمعاصرة مع الكتلتين .

ومع ان مقولتنا الاولى التي تسدين الاتجاهين : التقديسي السليبي أو الذرائعي ، تعتبر تبسيطاً اولياً لما يجري على ساحة الكتابة التاريخية ، لكن ذلك لا بد منه في الواقع مهما تجنبنا التبسيط ، لان الاتجاهات السائدة في الكتابة التاريخية عن ماضينا تحل الى اتجاهين رئيسيين فعلا هما المذكوران سابقاً . فالمتدينون والمحافظةون يقدسون الماضي بكل ما فيه سعياً نحو عزائية صوفية هادئة أو املا في اعادة التاريخ حيا في واقعهم المعاصر . ولا ريب ان حديثهم عن عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز ليس أكثر من « صورة تاريخية » صلتها بالواقع أو الحدث التاريخي ضعيفة . وبالاضافة الى ذلك فان هذه النزعة تتضمن تسطيحاً للتاريخ وتحويلاً له الى مجموعة من الاحداث المنزلة التي يصلها خط النور الالهي التاريخي ، وتختفي فيها السمات الشخصية للأفراد ، وخصوصيات المواقف التاريخية المختلفة . ولو ذهبنا نقرأ ما كتبه محمد الخضري (١٠) وحتى عبد الحميد العبادي (١١) ومحمد حسين هيكل (١٢) عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز لما استطعنا التمييز بينهما لو حذفنا العناوين .

ورغم ان أكثر الذين يكتبون اليوم عن تاريخنا ويقومون بالتدريس في جامعاتنا خريجو جامعات غربية متقدمة ، الا انهم رغم ذلك - أو من أجل ذلك - ما يزالون - اذا تجاوزنا الشكل الظاهر - يدورون في قالب المقولات التقليدية الناتجة عن نظرة متخلفة الى الكتابة التاريخية ماهية ووظيفية واساليب . حتى أولئك الذين يدنون التراث بشكل أو بآخر لا يتخطون الاسلوب الهجائي الذي لا يقوم على معطيات موجودة تاريخياً بقدر ما يقوم على صورة ذهنية عن الماضي والحاضر والمستقبل تستمد عناصرها من نوازع شخصية أو فهم خاطئ ، لقضية العلاقة بين حاضر الأمة وماضيها .

ولكي يكون الامر واضحاً تماماً سنتعرض هنا

التي لا تكاد تنتهي بالعهد القديم بحكم بروتستانتيتهم المتشددة .

أما على الجانب الآخر فقد ركز مستشرقو فرنسا وانكلترا ثم أميركا دراساتهم في مجالين : مجال جمع المعلومات والرحلات في الاقطار الشرقية ، والاهتمام بالابحاث التاريخية ذات المغزى الحضاري الشامل . وفي هذين النطاقين كان يجري القاء الضوء على ظواهر جانبية وتكبيرها وتجسيما بحيث تتراجع أمامها المجالات الأخرى جميعا ، وذلك مثل التصوف والاصول اليونانية للفلسفة العريضة ، ثم التخلف القاتل للمسلمين الشرقيين (٣٠) . في هذه الناحية حدثت الصدمات بينهم وبين الافغاني وعنده ورشيد رضا (٣١) دون أن يثمر النقاش شيئا ايجابيا ، لان المستشرقين هؤلاء لم يكونوا يكتبون رأيا علميا مطروحا للنقاش بل يشاركون في رسم توجهات دولهم تجاه الشرق العربي والاسلامي . وتتضح فضيحة هذا الاتجاه في ذراه عند غرينباوم ولويس حيث تجري مداورات ومغالطات طويلة ليقال في النهاية ان الاسلام رجعي ومتخلف بطبيعته ، وان تخلف الشرق راجع اليه والى عدم قبوله بالتالي للحضارة الغربية ، وهكذا فتخلفه ابدى وآمال التقدم ضعيفة بل معدومة (٣٢) .

ولا يخلو الامر من بعض ذوي النوايا الحسنة من الغربيين غير الاكاديميين الذين يتجاوزون تدقيق الفيلولوجيين ويدينسون لاعلمية مستشرفي الصهانية والمركزية الأوروبية ، لكن هؤلاء يعودون بدورهم للوقوع في أسر تقريظية مسرفة تفقد ايجابيتهم قيمتها وتاريخيتها .

ان تصحيح العلاقة بين الشرق والغرب هو الشرط الضروري والاول لبروز استشراق أكثر موضوعية ، وما لم يحدث ذلك فان جهود بعض عمالقة المستشرقين الموضوعيين ستبقى فردية ومشوبة بالمخاطر .

قلنا ان الاتجاه المادي التاريخي في الكتابة التراثية عندنا لقي ارضية واسعة خلال السنوات الاخيرة ، ورغم السذاجة الظاهرة التي برزت في أعمال من هذا الاتجاه مثل « اليمين واليسار في الاسلام » لاحمد عباس صالح ، و « ابن خلدون : رجل في القاهرة » لرشدي صالح ، لكن مزيدا من الدارسين العرب يتجه تدريجيا في اتجاه تفسيرات مادية للتراث . ايجابية هذا الاتجاه تكمن في مقابل لاتاريخية الاتجاه المتراجع ، كما تكمن في محاولته فهم الحدث من كافة الجوانب بشكل جزئي ودقيق ، هذا وان كان التركيز ينصب على النواحي الاقتصادية في الغالب . وهكذا فان ثورة كشورة صاحب الزنج ،

(٣٤) فادن بدراسات العروي عن غرينباوم ودراسات ادوار سعيد عن برنارد لويس .

انتهت الحرب الاولى المصالح الالمانية في الشرق فأعادت الاستشراق الالمانى السى منطلقاته الاولى ذات الطابع الاكاديمي البحت ، هذا اذا تجاوزنا مؤقتا محدودية آفاق المنهج الفيلولوجي الذي كان مسيطرا على هذا الاستشراق من ناحية ثم اضطرار بعض المستشرقين الالمان الى مجارة النظام الفاشي وافكاره عن الشرق في فترة الحكم النازي بألمانيا (٢٨) .

لكن في الوقت الذي كان فيه الاستشراق الالمانى يعيد البحث عن نفسه بعد ضربة الحرب الاولى كان الاستشراق الاميركي يتقدم وينمو مع مصالح الشركات الاميركية في الشرق ، ومع فرار مستشرقين المان كبار من أصل يهودي الى الولايات المتحدة عند صعود النازي الى سدة السلطة . ويمكننا كتاب الاستاذ ادوار سعيد الاخير من تتبع مراحل الاستشراق المذكور واتجاهاته الحاضرة خصوصا بعد قيام اسرائيل في وطننا العربي واشتداد ساعد الحركة الصهيونية في الغرب والولايات المتحدة والشرق الاوسط .

والواقع انه فيما يتصل بالمستشرقين الفرنسيين والانكليز (وكثير منهم ذو اصول يهودية) اضيفت الى ازدواجية شخصياتهم (كاكاديميين ومتعاونين مع الانظمة والقضايا الشرقية) ابعاد جديدة تتضمن ولاء لاسرائيل أيضا أو لحركة الصهيونية على الاقل . وتبرز في هذا النطاق شخصيات شاخت وغرينباوم وغويتاين في الولايات المتحدة ، وروودنسون في فرنسا ، وبرنارد لويس في بريطانيا . فقد انعكست صهيونية هؤلاء جميعا - وقد سادوا الاستشراق في الولايات المتحدة وبريطانيا حتى الستينات - على ابحاثهم حتى في النطاق التاريخي البحت . وقد حاول كل من العروي وجران وادوار سعيد تحليل ظاهرة غرينباوم ، في حين حظيت كتابات برنارد لويس بدراسة دقيقة من جانب ادوار سعيد في نطاق عمله الضخم عن الاستشراق .

والآ ، ماذا عن منهج أو مناهج المستشرقين هؤلاء ؟ في مجال الاستشراق الالمانى سيطر المنهج الفيلولوجي الذي يقوم على تشريح دقيق للواقعة التاريخية في كافة الجوانب ، لكن الواقعة التاريخية تبحث في شكل منزل عن تتابع الاحداث أو عن السياق البيئي (٢٩) . فاذا جرى البحث في أسباب ظاهرة من الظواهر في نطاق التاريخ الاسلامي فان مقارنات خادعة ذات طبيعة لغوية لفظية بحتة كانت تعقد للتدليل على الاصول غير العربية لهذا الامر أو لذلك . ومع ان ذلك يمكن اعادته جزئيا الى تصور المنهج الفيلولوجي رغم دقته الظاهرة فلا شك ان الايديولوجيات العنصرية والحضارية التي انتشرت في أوروبا أواخر القرن التاسع عشر تركت آثارا «واضحة» في دراسات المستشرقين ، هذا بالإضافة الى طبيعة ثقافتهم في أوروبا الامبريالية الصاعدة ، واهتماماتهم

وتمردا كتمرد المرجئة في خراسان ، لا بظنان ظاهرتين غامضتين معلقتين بالمذهب الديني لهذا الرجل أو ذلك . اننا نعلم ان المرجئة (٣٣) الذين كانوا حزبا سياسيا دينيا انما انتصروا للإسلام في تمردهم لا لانه دين فقط بل لدعوته الى المساواة بين المسلمين سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، ولانه يرفع بالتالي الاضطهاد عن الموالي الذين دخلوا في الاسلام وتربوا في أحضانه . فاذا علمنا بالاضافة الى ذلك ان مادة هذا التمرد كانوا من العرب الذين عاشوا في خراسان وامتزجوا بالسكان المحليين أمكننا ان نفهم خلفية الحركة العباسية التي قامت على نفس الاسس ، أسس التحالف بين العرب المتعددين عن القرار السياسي والرفاه الاقتصادي في خراسان ، والفرس من الفلاحين ومثقي الموالي ممن تعربوا منذ فترة (٣٤) .

ما دام الامر محصورا في فهم حركة ما في نطاق أصولها السياسية والاجتماعية . لا نلاحظ قصورا واضحا في تبين هذا الامر أو ذلك من قبل الماديين التاريخيين ، هذا اذا تجاوزنا تفاعلهم عن دور الايديولوجية الدينية في جانبها الايجابي في العصور الوسطى الاسلامية .

لكن القضية لا تبقى على نفس المستوى من الوضوح والدقة عندما يحاول المستشرق الماركسي أو المتمركز العربي ان يقدم دراسة تغطي مساحة واسعة زمنيا . هنا يتدخل التزامد الفكري يفرض عليه التحرك في نطاق « نمط الانتاج الآسيوي » (٣٥) ونطاق مراحل التطور الاجتماعي المعروفة عند الماديين الجدليين . بل اننا نستطيع المضي أبعد من ذلك لنقول ان اكثر الدراسات التي جرت حتى الآن من منطلق المادية التاريخية في رأينا كانت تهدف الى اثبات صدق الاشكال الايديولوجية الماركسية اكثر مما كانت تريد انماء علاقتنا بتاريخنا والاسهام في فهم مضامينه بشكل أكثر علمية وموضوعية . ونحن نملك على ذلك أكثر من دليل . فلماذا هذا الاهتمام بالبابكية والخرمية وثورة الزنج والقرامطة ؟ لقد ظل هؤلاء جميعا أقليات معزولة بينما بقيت جماهير الاكثرية بعيدة عن أفكار هؤلاء وأسباب سخطهم وتمردهم . هذه الاكثرية هي التي صنعت التاريخ وما تزال . ولقد كان لها مثقوها ولها تمرداتها وثوراتها ولها أفرانها وأحزانها ، ولها تناقضاتها الداخلية ، فأين هو الجهد المصوب لفهم ذلك كله ؟ بدلا من هذا تجري الكتابة طوال الوقت عن ثورة صاحب الزنج للقول في النهاية ان هذه الثورة كانت بداية لمرحلة المجتمع العبودي أو نهاية له وبداية للمجتمع الاقطاعي . انه لما له دلالة ان يكون أول من كتب عن الحركات الشعبية في بغداد (حركات الاكثرية) ليس ماركسيا (٣٦) بل مستشرق فرنسي يعتبر معتدلا نسبيا في الظاهر .

وواضح ما لبدا الاتجاه التبشيري من سيئات في مجال كتابة التاريخ . ذلك انه عندما يريد أحدنا ان يدل على فكرة واضحة مسبقة في ذهنه فان الواقعة التاريخية لا تريحه بل تزعجه ، الا اذا دار حولها أو فسرها تفسيراً قريبا بما يتفق وهدفه . لكن القضية لا تبقى في هذه الحدود . فكثير من الكتاب في هذا الاتجاه لا يريدون تدليلا تاريخيا على صحة النظرية الماركسية وشمولها فقط . بل يريدون خدمة أهداف سياسية واجتماعية حاضرة . كثيرا ما نسمع القائلين : « علينا ان لا ندع تاريخنا في يد الرجعيين واليمينيين التقليديين » . ونسمع ايضا : « دراستنا للتراث تستهدف الحاضر ، تستهدف النضال اليومي للحركة التحررية العربية » . ولو كان ذلك يعني محاولة فهم جذور المشاكل المعاصرة في وطننا العربي من خلال دراسة تاريخية لها لكان أمرا مشروعاً ، لكن القارئ للدراسات من هذا النوع يلاحظ هذا الاتجاه الى التأكيد على تفسير الحاضر بالحاضر ، واستخدام الماضي لتبرير الحاضر أو ادانته أو الاستتار به .

وتتفرع على ذلك عيوب شكلية ومنهجية وفردية تجعل من هذا الاتجاه في تفسير التاريخ العربي الاسلامي سلبيا في مجمله . فمعظم الذين يمارسون هذا المنهج حتى الآن لا يعرفون الماركسية جيدا أو لا يعرفون التراث جيدا أو هما معا . والا فما معنى تسمية البابكية ثورة من جانب « الشعب » الاذربيجاني على الخلافة الجائرة ؟ وهل كان هناك بالمقاييس الماركسية شعب اذربيجاني بالمعنى المعروف للشعب ؟ ثم ما معنى القول ان الفارابي كان ثوريا ولصالح المسحوقين ؟ وما معنى القول ان تاريخ الامم والملوك و « كتاب الاموال » مجهول المؤلف ؟ ان كثيرا من هذه الدراسات تفتقر الى ابسط الادوات المنهجية .. اوليات معرفة الموضوع الذي يكتب عنه الباحث .

وعلى محاولة تعميم النظرية الماركسية تتفرع عيوب منهجية متضامنة (٣٧) ، وهي حرق المراحل ودراسة التراث العربي كله مرحلة واحدة . رغم عدم توفر الادوات المنهجية ، وخروج ذلك على طاقة الفرد بل الجماعات في هذه المرحلة ، لكن هموما جانبية مثل اثبات النظرية وقطع الطريق على التقليديين والمستشرقين هي التي تفرض مثل هذا النهج .

لقد درسنا نموذجين من نماذج دراسة الفكر العربي التاريخي واعتبرناهما غير علميين رغم اختلافهما في الجوهر . لكن : ما هو البديل ؟ لقد أصبح النهج التقليدي عاجزا ، كما ان النهج الاستشراقي والتفسير المادي للتاريخ لم يقدم حتى الآن الا نماذج سلبية . في ظل هذين الاعتبارين ، وظل ظروف المرحلة القومية المعاصرة ، لا ندعي اننا نملك تصورا متكاملًا ، لكننا نملك

معالم رئيسية نابغة من التوجه النقدي للنهجين الآخرين .
ومن الإدراك العميق لطبيعة المرحلة الراهنة .

أقدم بالاقتراحات التالية :

١ - الانطلاق من موضوعية الحقيقة التاريخية والتحدث التاريخي ، ومحاورة تاريخنا هذا : لان ذلك في تصوري يشكل جوهر العلاقة بيننا وبين تراثنا .

ويتضمن هذا المبدأ اصفاء تاما لنداءات الوثائق التاريخية ودراساتها فسي نطاق عصرها ، وظروفها ، ونشأتها ، وموقعها الاجتماعي والسياسي والتاريخي ، لينصب ذلك كله في النهاية في خدمة موضوعية الحقيقة التاريخية والقاء الاضواء عليها ، لا لشيء الا لان الحياة المعاصرة العربية السوية في تلك التي تقوم على أساس حقائق تاريخية لا صور وأوهام ايدولوجية تلبس لباس التاريخ .

٢ - الانطلاق من عدم وجود انقطاع في حياة الامة العربية الاسلامية من الناحية التاريخية ، ومن الضروري دراسة التاريخ كوحدة متماسكة بجوانبه المتعددة : سياسية وادارية واجتماعية واقتصادية وفكرية فسي آن واحد لكل فترة من الفترات ، على أن تكون هذه الدراسة شاملة جميع طبقات الشعب ، ونمط حياتهم ودورهم في المجتمع .

اذ ان هناك جوانب كثيرة من تاريخنا لم تستكمل بعد . ولم تكشف الحقيقة عنها .
هذا بالاضافة الى ضرورة دراسة تاريخ الغرب .
والمقارنة بينه وبين تاريخنا العربي .

٣ - الاهتمام بدراسة الحضارة العربية في جميع مجالاتها وانجازاتها لا التركيز على الناحية السياسية :
فذلك يفقد التاريخ العربي جوهرة ، ويعطل دوره .
اذ ان الحضارة العربية الاسلامية التي لها سمات الحضارة الشاملة المتكاملة والتي ما تزال مستمرة حتى اليوم في محيطنا تملك منطقتها الخاص ، وقيمتها الذاتية في المرتكزات الفكرية ، وفي فهم العالم وفي التعامل معه .
ولكي يمكن استيعاب مدلولات هذه الحضارة :
ومستنداتها وروحها ، لا بد من الانطلاق من منطقتها الخاص والداخلي ، وذلك يجنبنا مخاطر اللجوء الى مفاهيم ومنطلقات من خارج نطاق الحضارة التي ندرسها .
ويجبنا بالتالي الوقوع في اخطاء بعض المستشرقين والماديين التاريخيين .

وعلينا هنا أيضا أن نبين للعالم دور الحضارة العربية في تطور الحضارة الانسانية . وهذا ضروري بالنسبة لتعاملنا مع الغرب .

٤ - وعلينا أن نبرز أو نركز على المقومات والاتجاهات القومية والوحدوية بالذات ، فالموضوعية والنزاهة لا يتنافيان أبدا مع قومية التاريخ ، لكن يحتاجان الى

عقول عربية تتسم بالعلم والتجرد والصبر والدقة ، وقلوب عربية تمتاز برهافة الحس ، وصفاء الاتجاهات ، تلمس جذور الحقيقة والنظر الى ابعادها ، ثم التركيز على مقومات القومية العربية ، وعناصر الوحدة : لان القومية والوحدة هما الاطار الوطني الذي يصهر أبناء الامة على مختلف طوائفهم ومذاهبهم في بوتقة واحدة ، فلا يعود هناك من مجال فيه للعنصرية والطائفية .

ولو فعلنا ذلك لوفرتنا على أنفسنا اثارا الدعوات المشبوهة المزيفة ومخاطر التجزئة والطائفية والاقليمية ، والعنصرية ، والانعزالية ، والتعددية ، وتحركات الاقليات .. كما يجري الآن في لبنان مثلا .

٥ - كما علينا أن ندرس بعمق وتحليل العوامل الاجتماعية والفكرية والنفسية والاقتصادية والسياسية التي دفعت الى التجزئة وتمزيق كيان الامة ، ولا نغفل انه كان للاستعمار اليد الاولى ، والطولى ، في ذلك .
وقد فعل ذلك في صور وأساليب مختلفة ، تجارية ، واقتصادية ، وثقافية ، ودينية ، ثم في حملات وحروب استعمارية سافرة ، وفي تحالفات ومعااهدات مشبوهة .

٦ - اقترح اقامة مؤتمر عام ١٩٨٠ ، اذا أمكن ، أو عام ١٩٨١ ، على الاكثر .
يكسون موضوعه « الوطن العربي بين الوحدة والتجزئة » ، فيدرس مقومات الوحدة وايجابياتها ، وما تعود به على الامة والوطن :
كما يدرس مخاطر التجزئة وأسبابها ، وما ادت وما يمكن أن تؤدي اليه بعد .
المزيد من الانعكاسات السلبية على الوطن العربي .

واشدد هنا أن تكون هذه الدراسات ، مبنية على أبحاث موثقة رصينة وجدية ، وعلمية .

٧ - اختيار لجنة عربية عليا : معترف بها رسميا .
وممولة من الدول العربية : تكون مهمتها انشاء « مركز التراث العربي » أو « مؤسسة التراث العربي » .
تقوم بوضع برنامج عمل : عبر لجان متخصصة : فنية ، ادارية ، ومالية ، ثم تقيم الحلقات والندوات لدراسة هذا البرنامج .
ثم العمل على تنفيذ « كتابة تاريخ الامة العربية » .

الهوامش

- ١ - قارن بعدد فبراير من مجلة الطريق اللبنانية (١٩٧٩) حيث يبرز الدكتور احسان هذا المعنى بوضوح .
- ٢ - منهج بندلي جوزي وبوبوفتش وفيصل السامر واحمد علي ونزيه ابو نضال .
- ٣ - قارن بمحاولتي جوزي وعلي علي سبيل المثال .
- ٤ - تاريخ الامم والملوك (ط ١ - لايدن - دي فويه) ٤ / ٨١٦ - ٨٥٦ .
- ٥ - حسين قاسم العزيز في « البابكية » (١٩٧١) .

شركة خياط للكتب والنشر (ش م ل)

٩٢ - ٩٤ شارع بلس - ص.ب ٦٠٩١
بيروت - لبنان - تلفون ٢٤٤٩٩٨

يسرها ان تقدم

الموسوعتين الكبيرتين موسوعة الشعر العربي

الشعر العربي في شتى عصوره ومناطقه منذ
العهد الجاهلي حتى عهد النهضة العربية الحديثة .
٢١٥ شاعرا من العصر الجاهلي
٩٠ شاعرا من العصر المخزوم
٢٤٥ شاعرا من العصر الاموي
٥٢٤ شاعرا من العصر العباسي
٢٧٠ شاعرا من العصر الاندلسي
٤٣٠ شاعرا من عصور الانحطاط
٢٩٢ شاعرا من عصر النهضة العربية
شعراء عديدون من العصر الحديث

دراسات قيمة عن كل شاعر ، حياته ، بيئته ، شعره .
عرض مشوق لافكار الشاعر واغراضه ومقاصده .
في ٣٢ مجلدا ضخما تضم الشعر العربي قديمه
وحديثه ، كل مجلد يقع في ٦٥٠ صفحة من القطع
المتوسط .

ديوان الشعر العربي كله بين يديك في مجموعة
واحدة تسافر اجزاؤها تباعا .

موسوعة الفن العربي

... الفن والتزيين وهندسة الماضي المعمارية
في ٢٠٠ لوحة اكثر من نصفها بالالوان ، تضمها ثلاثة
مجلدات كبيرة ، اصدرتها مكتبة خياط للكتب
والنشر في بيروت وباريس ، وهي اجمل هدية عن
الفن الاسلامي ، من تصوير وتصميم « بريس دافين »
الذي كان قد درس طوال اعوام مظاهر الفن العربي ،
ليخرج هذه الموسوعة عن اجمل آثار العالم الاسلامي .
تحفة رائعة تزين مكتبة بيتك او مكتبك ،
وتصور ادق ما توصل اليه الرسامون والمزخرفون
والقائمون الاسلاميون والعرب في العصور الماضية .

اطلب الموسوعتين من شركة خياط للكتب والنشر ،
شارع بلس بيروت ، او من فرعها في باريس :

Les Editions KHAYAT 25, Rue Berne
75008 PARIS Tél : 293 - 68 - 33

- ٦ - د. فاروق عمر في مجلة « آفاق عربية » العرافيسية (تموز
١٩٧٧) .
- ٧ - أحمد عباسي صالح : اليمين واليسار في الاسلام ٢٦٠ ،
(مؤسسة الدراسات ١٩٧١) .
- ٨ - نبيه عائل : الاميون ، ٤٨ ، (دمشق ١٩٦٨) .
- ٩ - « قيام الدولة العباسية » (بالالمانية ، ١٩٧٠ ، ١٧ - ٢٨) .
- ١٠ - الخلفاء الراشدون (١٩٤٦) .
- ١١ - الخلافة الراشدة (١٩٢٨) .
- ١٢ - حياة معتمد ، حياة أبي بكر ، الفاروق .
- ١٣ - فارتن بيوهان فك : الدراسات العربية في أوروبا (بالالمانية)
١٦ - ١٩ .
- ١٤ - الدراسات العربية ٨ - ٩ .
- ١٥ - قيصر مخول : الاسلام في اندونيسيا ، ٩٨ (الرائد العربي ،
١٩٦٩) .
- ١٦ - أولمان : دراسة العهد القديم من جانب المستشرقين (بالالمانية)
١ / ٦٧ (١٩٧٢) .
- ١٧ - فارتن برحطه (مقدمة) ٦ - ٩ .
- ١٨ - فيسمان : اكتشاف الجزيرة (بالانكليزية) ٤٧ - ٤٩ (١٩٦٥) .
- ١٩ - فارتن عنه مالك بن نبي في مذكرات شاهد القرن ، ٩٨ (١٩٦٤) .
- ٢٠ - فارتن عنه : الدراسات العربية لـ « فك » ، ٢٢٧ - ٢٢٨ .
- ٢١ - فارتن عنه المستشرقون لعقيقي ، ٢١٦ .
- ٢٢ - فارتن عنه مجلة فكر وفن (م ٩ ، ١٩٦٤) .
- ٢٣ - فارتن بالدراسات العربية في ألمانيا لبارت (ترجمة مصطفى
ماهر) ٤٧ - ٥٠ .
- ٢٤ - الدراسات العربية لفك ، ٣٦ - ٣٨ .
- ٢٥ - مجلة جمعية المستشرقين الالمان / م ٤٦ (١٩٢٥) ، ٨٧ - ٩٩ .
- ٢٦ - مجلة جمعية المستشرقين الالمان / م ٤٨ (١٩٢٧) ، ٣٦ - ٣٩ .
- ٢٧ - فارتن هامش رقم ٢٢ .
- ٢٨ - عن المستشرقين الالمان والنازي فارتن ، هولدر ، المستشرقون
الالمان (بالالمانية) ٨٨ - ٩١ .
- ٢٩ - فارتن بنقد المستشرق الشاب ثبت لنهاج المستشرقين الالمان
في « الاستشراق ، مفاهيمه وحسوده » (بالانكليزية) ،
١٨ - ٥٧ .
- ٣٠ - فارتن ب « الاستشراق » لادوار سعيد (١٩٧٧) ، ٤٦ - ٥٧ .
- ٣١ - د. فهدى جمدان : أسس التقدم عن مفكسري عصر النهضة
(١٩٧٩) ص ٢١١ - ٢٤٧ .
- ٣٢ - مثل جوستاف لوبون وزيجريد هونكه .
- ٣٣ - فارتن عنهم دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية) ، مادة
« ارجاء » .
- ٣٤ - فارتن بدراسة فاروق عمر عن « طبيعة الدعوة العباسية » .
- ٣٥ - فارتن بمحاولات تجديد في هذا النطاق ، الدراسات التسي
ترجمها جورج طرابيشي بعنوان « نمط الانتاج الاسيوي » .
- ٣٦ - هو كلود كاهن .
- ٣٧ - في « من التراث الى الثورة » و « النزعات المادية » .